Revue Traduction et Langues Vol 4 N°1/2005, pp. 101-108

المنهج السيميائي بين المفهوم والتطبيق

The semiotic approach between concept and application

جبور أم الخير

جامعة وهران ـ الجزائر

lirenora600@yahoo.fr

Abstract: *Semiotics is broad in space and horizons, because it includes the epistemological or epistemological approach. It is a science that derives its origins and principles from a wide range of fields of knowledge, such as linguistics, philosophy, logic, psychoanalysis and anthropology. One of the functions of semiotics is that it helps to assimilate various scientific issues, thus transforming the scientific discourse into a discourse based on language and the network of signs founding it. What is striking - at this stage - is that semiotics began to impose itself, thus displacing the position of some traditional approaches, such as the social (Marxist, psychological, historical) method. Interest appeared in the semiotic literary curriculum, and most critical studies - theoretical and applied - focused on the principles of this school, sometimes with translation and other times with critical activation. What we also notice at the beginning is the inaccuracy of the terms translated from foreign languages (French and English), so we find "semiology, sociology, semantics, symbology and etymology to refer to the science itself, and this idiomatic multiplicity creates a state of fluctuation in the reader. Semiotics as a method is far from being a ready-made template, applied automatically and awaiting its success. Rather, it is an analysis that adheres from the beginning to the end of the text with the general logic. Semiotics are multi-directional practices, as there are the semiotics of theater, the semiotics of the photographic image, the semiotics of political discourse, and the semiotics of prose and poetic narration. What is important is that all aspects of human daily activity are a subject of semiotics, and in other words, everything that culture makes in our hands are, in origin and occupation, signs that reveal this culture and its identity.*

Keywords: *Epistemology, linguistics, semiotics, scientific discourse, visual system.*

الملخص: تتضمن السيميائية المقاربة المعرفية و/أو الإبستيميولوجية، ومن بين أهدافها المتوخاة فهم مختلف الإشكالات ذات البعد العلمي. إنها تحول الخطاب العلمي إلى خطاب يرتكز على اللسان وعلى جملة الإشارات المحيطة به. على سبيل المثال، إذا كان الخطاب الرياضي يفسر في إطار عقلي محض، فإنه قد يكون غير مفهوم بدون اللجوء إلى اللسانيات، التي من جانبها، تساهم في إيضاح المضمون الخطابي بطريقة حقيقية. إن للسميائية العديد من التعاريف والتي من بينها نجد تعريف "روبيرت مارتي" الذي يربطها بدوره بالـ"الغرض" كما نجد تعريف " بييرس" والذي يقضي بأنها " علاقة ضيقة بالمنطق"، إن الإشكال الذي يطرح نفسه: أين تتموقع السيميائية من بين كل هذه النظريات؟

الكلمات المفتاحية: السيميائية، الإبستيميولوجية، الخطاب العلمي، اللسانيات، الأنساق السيميائية، النظام البصري

Corresponding author : Djebbour Oum El Kheir

إن السيمائيات واسعة الفضاء والآفاق، لأنها تشتمل المقاربة المعرفية أو الأبستمولوجيا. فهي علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا. ومن وظائف السيمائيات أنها تساعد على استيعاب مختلف القضايا العلمية وبذلك تحول الخطاب العلمي إلى خطاب يستند إلى اللغة وإلى شبكة العلامات المؤسسة له، فمثلا لغة الرياضيات لو شرحت في الإطار العقلي، تكون مستعصية على الإدراك دون مرافقة لغوية توضح المسألة بصورة ملموسة.

والملفت للنظر- في هذه المرحلة - أن السيميائية بدأت تفرض نفسها مزحزحة بذلك مكانة بعض المناهج التقليدية، كالمنهج الاجتماعي (الماركسي، النفسي، التاريخي). وظهر الاهتمام بالمنهج السيميائي الأدبي وانصبت جل الدراسات النقدية ـ النظرية منها والتطبيقية ـ على أعلام هذه المدرسة، بالترجمة أحيانا وبالتفعيل النقدي أحيانا أخرى.

ما نلاحظه كذلك في البداية عدم دقة المصطلحات المترجمة من اللغات الأجنبية (الفرنسية والانجليزية) فنعثر على " السيمياء والسيسيولوجيا والدلالية وعلم الرموز وعلم العلامات للإشارة إلى العلم نفسه، وهذا التعدد الاصطلاحي يخلق حالة من التذبذب لدى القارئ.

بداية يجب التأكيد أن للعرب القدامى فضل عظيم، فلهم يعود فضل الريادة في مجال اللغة والفلسفة والفقه والأدب.. فقد أثروا الدراسات الدلالية بشكل واسع، فقد درسوا وحللوا مفاهيم عديدة: كالنظم والسياق والمعنى والمفهوم والصورة الذهنية والدال والمدلول، وفق مختلف المستويات الصوتية والدلالية[1].

إن السيميائية كمنهج بعيدة من أن تكون قالبا جاهزا، يُطبق بشكل آلي وينتظر نجاحه، بل هي تحليل يتقيد من بداية النص إلى نهايته بالمنطق العام. والسيمائيات ممارسات متعددة التوجهات، إذ هناك سيمائيات للمسرح وسيمائيات للصورة الفتوغرافية وسيمائيات الخطاب السياسي وسيمائيات السرد النثري والشعري. المهم أن كل مظاهر النشاط اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيمائيات، وبصياغة أخرى فإن كل ما تصنعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تكشف عن هذه الثقافة وعن هويتها. فاللباس والطقوس الاجتماعية هي علامات نرتكز عليها لفهم المجتمع. كما

[1] فايز الداية، "علم الدلالية العربي" النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية 1973، ص 6.

ISSN : 1112 – 3974

أن آداب التحية في اليابان، علاقات الزواج و تقاليده، نظام المطبخ، وإشارات المرور، كل هذا يشكل علامات و إشارات و دلالات[2]. يعرف " روبير مارتي " «**Robert Marty**» السيميائية قائلا: " إن السيمائيات هي الموضع المحدد حيث ينتظم النقاش حول الدلالة[3]" فالدلالة هي المبدأ الأساسي للنظرية السيمائية في كليتها الموضوعية و المنهجية . ويعرف سعيد بنكراد موضوع السيمياء بقوله: "هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة[4]."

وينبغي القول إن السيميائية تتداخل مع اللسانيات في كثير من قضاياها ومفاهيمها. فاللسانيات عند " دي سوسير " ارتبطت ارتباطا قويا بالدلالة، بل كانت مفاهيمه اللسانية العامة مادة لهذا العلم الجديد. وقد أدى هذا التداخل إلى الوقوع في الخلط في استعمال المصطلحات. فمثلا ترجمت **Sémiotique** (سيمائيات) مكان **Sémantique**(اللسانيات) أو حدث العكس[5]. ولكن الصواب أن السيميائية تهتم بظهور المعنى في حين أن الدلاليات فينصب اهتمامها بالمعنى والدلالة.

أما "بيرس " فيعرف السيمائيات بقوله: "فالمنطق في معناه العام، ليس سوى تسمية أخرى للسيمائيات[6]."[i] وبذلك تتحقق الدلالة – حسب هذا العالم -عن طريق السيرورة القياسية أو السيرورة الاستدلالية أو السيرورة الافتراضية. وبذلك ترتبط السيمائيات ارتباطا قويا بالإدراك وبالعمليات اللصيقة به. وعلى هذا الأساس لا يمكن استيعاب التصور البيرسي للعلامة إلا من خلال فهم الميكانزمات الإدراكية، فرؤيته الفلسفية ترى في التجربة الإنسانية كيانا منظما.

أما دي سوسير فيعرف السيمائيات بقوله: "العلم الذي يدرس حياة العلامة في وسط الحياة الاجتماعية، علما سيكون فرعا من علم النفس الاجتماعي وتاليا فرعا من علم النفس العام، ونطلق على هذا العلم السيسيولوجيا (من Sémeion أي الدلالة)[7].

أما الدلالة عند هذا العالم فهي حاصل علاقة اعتباطية تجمع الدال والمدلول، فهما أشبه بالقطعة النقدية التي تحمل إحدى الجهتين الدال وفي الأخرى المدلول، ويستحيل حينذاك أن نفصل بينهما.

---

[2] ينظر رشيد بن مالك، السيمائيات أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف.

[3] R. Marty et C. Marty, 99 réponses sur la sémiotique ،éd CRDT/ CDDP, Montpellier, 1992, réponses n° 1.

[4] سعيد بنكراد، السيمائيات، منشورات الزمن2003 الدار البيضاء، ص 21.

[5] Bernard Toussaint, Qu'est-ce que la sémiologie ? Paris éd Privat, 1978 ; p3.

[6] CS Peirce, Ecrits sur le signe, éd Seuil, 1978, p 120.

[7] Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Paris éd Payot, 1985, p33.

ISSN : 1112 – 3974

فلا يمكن أن يوجد المدلول دون دال والعكس صحيح وذلك ضمن النسق اللساني. فمثلا العصفور في اللغة العربية يتشكل من (ع ـ ص ـ ف ـ و ـ ر) وفي اللغة الإنجليزية **Bird** من (**B- I- R- D**).

وهنا نتساءل لماذا لا تسمى " الأرض" سماء و "البحر" جبلا؟

يرى سعيد بن كراد أن السيمائيات تسعى إلى استخراج ما تحت السطور والصور المرئية، فهي نشاط محفز للعقل المدرك للمتغيرات ويعرف ذلك بقوله: هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة. إنها تدريب للعين على التقـاط الضمني والمتوارى والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكونات المتن[8].

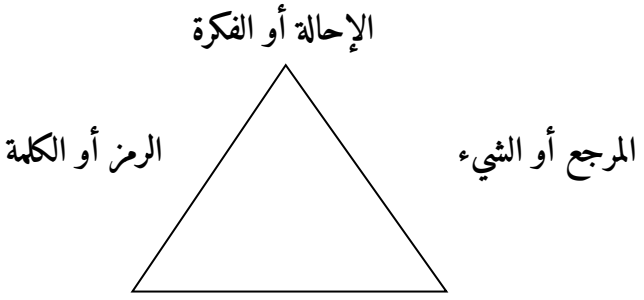
إن الانتماءات المختلفة لا تتجلى فقط من خلال الاختلافات اللسانية فـ "الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين لا يتكلمون لغتين مختلفتين فحسب، بل يسكنون عوالم حسية مختلفة. إن إدراك اللون هو إدراك ثقافي، فكل شعب و كل مجموعة بشرية تسند قيما ودلالات للألوان التي تعكس حالة السعادة و التعاسة و عن حالة الغنى و الفقر وعن البرودة والحرارة، لذلك لا يمكن الحديث عن خطاب كوني موحد حول الألوان، فمثلا تلبس النساء في منطقة تلمسان بالجزائر حين حضور جنازة ميت ثيابا بيضاء للدلالة عن الحزن أما في مصر فتتفق النسوة على ارتداء اللون الأسود ، فالحالة هنا واحدة و لكن التعبير تنوع بين اللونين الأبيض و السود و في الثقافة الغربية يأخذ الزائر معه حين يعود مريضا أزهارا أما في المجتمعات الشرقية و خاصة العربية فتكون الهدية - في الغالب- عبارة عن مأكولات (فواكه و حلويات).

لا يرتبط تأسيس الخاصية الاعتباطية في الأنساق السيميائية بقاعدة الثقافة ، فرولا بارث « **Roland Barthes** » يقرن الاعتباط بتلك القرارات الأحادية ليجعل منه خاصية عرضية ترهن بالقبلية، إذ يرى أن كل العلامات تفقد اعتباطيتها ضمن وضعها البعدي، بهذا المعنى نستطيع أن نميز بين الاعتباط واللاتعليل ، فلا يتوقف شرط الأول على انتقاء العلاقة التماثلية بين الدال والمدلول على مبدأ "الضرورة " كما يحدد "إميل بنفيست « **Emile Benveniste** » إن زي البرلماني أو الشرطي أو القاضي ما هي إلا قرارات أحادية جاءت بصورة اعتباطية لكنها سرعان ما تندرج ضمن مجال الثقافة لتتحول إلى وحدات ثقافية يرتبط قسرها بالزمان و المكان.

[8] سعيد بن كراد، السيمائيات، منشورات الزمن 2003، ص10.

ISSN : 1112 – 3974

و من هنا و ضمن هذه العلاقة الثابتة بين الدال و المدلول ظهر المثلث السيميائي لتنظيم هذه العلاقة، فقدم كل من " أوغدن و ريتشاردز " مثلثهما السيميائي الذي يضم العناصر الثلاثة : الكلمة (الرمز)، الشيء (المرجع) **Référent** وهما يشغلان قاعدة المثلث والإحالة **Référence** على قمة المثلث[9].



إن ما يميز سيمائيات غريماس عن سيمائيات دوسوسير هو اتساع رقعة الدلالة، إذ قصد بالدال مجموعة العناصر الممكنة لتحديد الدلالة في المستوى الإدراك، أما المدلول الذي يظهر فلا يتم بحضور الدال، فالعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية[10]. ولا يباعد غريماس بهذا الطرح المفاهيم التي قدمها دي سوسير بل يبدو مشاركا لآرائه مع التوسع في العوالم خارج اللسانية والتي نذكر منها:

النظام البصري: (الإيماءات، الحركات، الكتابة الطبيعية الرومانسية).

النظام السمعي: (الألسن البشرية، الموسيقى).

النظام اللمسي: (لغة العميان)[11].

أما "امبرتو إيكو" فالأنساق الدلالية عنده 18 نسقا:

سيميوطيقا الحيوان.

العلامات الشمية (العطور مثلا).

التواصل اللمسي (القبلة والصفعة).

سنن الذوق (ممارسة الطبخ)

العلامات المصاحبة لما هو لساني (الضحك، البكاء، التنهدات).

[9] Raymond Champagnol, Signification du langage, Paris, PUF, 1er éd 1993, pp 104-105
[10] A. J Greimas, Sémantique structurale, Paris, éd Larousse 1966, p 10
[11] Ibid, p 1.

ISSN : 1112 – 3974

السيميوطيقا الطبية: علاقة الأعراض بالمرض.
حركات الأجسام: ويتعلق الأمر باللغات الإشارية (الغمز مثلا للتعبير عن إحساس معين أو لغة الصم والبكم).
الأنواع الموسيقية (الهادئة والصاخبة)
اللغات المتكلفة.**Formalisées**
اللغات المكتوبة والأبجديات المجهولة.
اللغات الطبيعية مثل العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية .... إلخ.
التواصل المرئي مثل الأنساق الخطبية واللباس والإشهار.
نسق الأشياء، مثل المعمار وعامة الأشياء.
بنيات الحكي.
الأنواع السننية مثل آداب السلوك والترتيبات والأساطير.
الأنواع السننية والرسائل الجمالية، علم النفس والإبداع الفني والعلاقات بين الأشكال الفنية والأشكال الطبيعية.
التواصل الجماهيري، علم النفس وعلم الاجتماع ومفعول الرواية البوليسية والأغنية.
الخطابة[12] **(La rhétorique)**.

إن التحليل السيميائي للنصوص هو ذلك التحليل الذي يمثل في عمقه معرفة ووصف الاختلاف والتباين الدلالي داخل النصوص. و يحول هذا التحليل دراسة النصوص الأدبية أو قراءتها إلى قراءة علمية دقيقة من خلال كشف البنيات العميقة الكامنة وراء صياغة النص الأدبي[13]. من خلال القراءة يأتي التأويل ويتم الكشف عن الرمزي والموحي والمشار إليه. إن التأويل هو دائما زحزحة للعلاقات وتغيير للمواقع، وإعادة لترتيب عناصر العلامات. فإن ما يضمن سلامة التأويل و دوامه و استمراره في إنتاج الدلالات المتنوعة هو وجود هذا الحد الأدنى المعنوي المرتبط بتجربة حياتية لا تتجاوز حدود الاستجابة للبعد النفعي فيها، وهذا ما يمكن وصفه بالطابع الموضوعي للمعنى[14].

[12] رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف. ص 44-45-46.
[13] سيزا قاسم، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، القاهرة، 1986، ص 17-18.
[14] سعيد بنكراد، السيمائيات، ص 155.

ISSN : 1112 – 3974

إن السيرورة المنتجة للدلالة تستدعي ثلاثة عناصر ينظر إليها باعتبارها الحدود التي من خلالها تستقيم السيرورة وتتحول إلى نسق يتحكم في إنتاج الدلالات وتداولها. وكمثال على ذلك فإن كلمة " شجرة" تدل لأنها تشتمل على العلاقات التالية:

متوالية صوتية تشتغل كتمثيل رمزي متعارف عليه عند مجموعة لغوية بعينها (المجموعة اللغوية العربية في حالة كلمة شجرة)

موضوع يستند إليه التمثيل من أجب إنتاج الصور الذهنية، وهو ما يشكل أساس المعرفة، فالمعرفة التي لا تستند إلى موضوع لا يمكن أن تكون معرفة.

مفهوم يُحول الموضوعات إلى صور ذهنية تغنينا عن الواقع[15].

إن الإشكالية التي تطرحها طبيعة النصوص الأدبية هي التأرجح بين المعنى الأول للعلامة والمعنى الثاني الذي تحيل عليه، من قارئ إلى قارئ آخر، لأن الإمكانية التأويلية تظل مفتوحة المجال إلى حين استقرار المعنى في إحدى الكفتين.

أما سيميائية الشعر عند "ريفاتير" من خلال كتابه " سميوطيقا الشعر " فنجد هذا الباحث توقف عند سؤال هام وهو: ما الذي يجعل الشعر شعرا؟ وأين تكمن " شاعرية " النص الشعري؟ فرده في ذلك أن:

الشعر يعبر دوما عن المفاهيم والأشياء بشكل غير مباشر، كما أنه يقول شيئا ويعني شيئا آخر.

هناك ثلاثة أنماط من المباشرة السيماتطبيقية والدلالية.

نقل المعنى (الاستعارة والكناية)

تحريفية (الالتباس)

إبداعية (الطباق ، الإيقاع و المزاوجة)[16].

تعد السيميائية أفق نقدي جديد من الأفق الحديثة التي يتمتع الدارس حين تعامله معها، فتطبيق المفاهيم السيميائية يمنح للقارئ الأدبي مفاتيح عديدة تضيف له معارف ومعلومات عن العمل المقصود بالدراسة.

---

[15] المرجع نفسه، ص 167.

[16] رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف، ص 53.

ISSN : 1112 – 3974

References

[1] Marty, R. & Marty, C. (1992). *99 réponses sur la sémiotique* ،éd CRDT/ CDDP, Montpellier, réponses n° 1.
[2] Toussaint, B. (1978). *Qu'est-ce que la sémiologie ?* Paris éd Privat .
[3] Peirce, C-S. (1978). Ecrits sur le signe, éd Seuil
[4] Saussure, F. (1985). Cours de linguistique générale, Paris éd Payot.
[5] Champagnol, R. (1993). *Signification du langage*, Paris, PUF, 1ère éd.
[6] Fāyiz al-Dāyah, "'ilm al-dalālīyah al-'Arabī" al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq dirāsah tārīkhīyah ta'ṣīlīyah naqdīyah, Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah 1973.
[7] Rashīd ibn Mālik, alsymā'yāt uṣūluhā wa-qawā'iduhā, Manshūrāt al-Ikhtilāf.
[8] Sa'īd Bingarād, alsymā'yāt, Manshūrāt alzmn2003 al-Dār al-Bayḍā'.
[9] Sīzā Qāsim, madkhal ilá al-Sīmiyūṭīqā, Dār Ilyās al-'Aṣrīyah, al-Qāhirah, 1986.

ISSN : 1112 – 3974